

نعم, ماذا يراد للعراق يا محمد ضياء عيسى العقابي؟

كاظم حبيب

المقدمة:

وجه السيد محمد ضياء عيسى العقابي رسالة مفتوحة موجهة لي ومنشورة في موقع الأخبار, كما قام السيد الدكتور عبد الخالق حسين بتعميمها, حيث طرح فيها السيد العقابي بعض الأسئلة التي تستوجب الإجابة والمناقشة, ثم عرض, كما في مقالات سابقة له, منجزات رئيس الوزراء نوري المالكي, التي تستوجب المناقشة أيضاً.

سأتجاوز الأسلوب الذي كتب به المقال, إذ لي معرفة ومودة سابقة بالسيد المهندس محمد ضياء عيسى العقابي تمنعني, حتى بدونها, عن ممارسة الأسلوب نفسه, في ما عدا العنوان الذي يحاكي عنوان المقال الذي كتبه حول مقالي الموسوم ماذا يراد للعراق؟ سأناقش القضايا الواردة في مقاله الموسوم: "ماذا يُراد للعراق يا كاظم حبيب؟!!!" يمكن مراجعة مقال السيد العقابي في موقع "الأخبار بتاريخ 2011/3/14. وفي نفس اليوم نشر السيد الدكتور عبد الخالق حسين مقالاً مماثلاً من حيث الدفاع عن حكومة المالكي وإثارة الشكوك حول منتقديه وكان مؤامرة مشتركة تدور في الأفق ضد المالكي, بعد توقفه لفترة عن الكتابة, حول مقالي المذكور نفسه. سأناقش القضايا التي طرحت في مقال الدكتور حسين بمقال خاص. يمكن مراجعة مقال الدكتور عبد الخالق حسين في موقع الأخبار أيضاً في 2011/3/14. طرح السيد العقابي موضوعات كثيرة لا بد لي من مناقشة النقاط التالية:

1. هل تخلى الصديرون عن ميليشيات جيش المهدي؟ وهل جمدت أو حلت فعلاً؟
 2. هل نظام المحاصصة الطائفية والقائم على الطائفية السياسية هو الصيغة المناسبة للحكم في العراق, أم النظام الذي يعتمد مبدأ الديمقراطية والمواطنة الحرة والمتساوية؟
 3. هل كانت مسيرة أياد علاوي ومن بعده إبراهيم الجعفري مسيرة لصالح الطائفية السياسية أم المواطنة المتساوية, وما دور الجعفري في ملء المؤسسات الأمنية بعناصر من الميليشيات الطائفية الشيعية؟
 4. هل كان المالكي مستعداً للمساومة من أجل البقاء في الحكم ومهما كان الثمن؟
 5. هل كانت مسيرة الأسابيع المنصرمة, دع عنك مجمل السلوكية تعبر عن ديمقراطية المالكي والوضع العام في العراق أم عن سلوكية استبدادية نمطية؟
 6. ألا نلاحظ أن الحريات العامة في العراق في خطر وعلى عاتق الجميع تقع مسؤولية الدفاع عنها قبل أن نتحدث عن "بعد خراب البصرة".
 7. وهل كانت المظاهرات الشعبية ناتجة عن قوى بعثية وطغموية أم إن المتظاهرين كانوا من صميم هذا الشعب المعذب وما يعانيه من مشكلات أساسية؟ وهل معاقبة الحزب الشيوعي واعتقال الإعلاميين والصحفيين وتعريضهم للتعذيب هي الديمقراطية بعينها؟
 8. ومن المسؤول عن عمق الفساد الجاري في العراق؟ أليس النظام الدكتاتوري البعثي هو المسؤول عن كل ذلك رغم سقوطه قبل ثمانية أعوام؟ وما دور الحكومات العراقية المتعاقبة وقوى الاحتلال والشركات الأجنبية وقوى من الأحزاب السياسية الحاكمة في توسيع ذلك؟
 9. وهل ما أشرت إليه في مقالي "ماذا يراد للعراق يجافي الحقيقة؟ ألا يعبر عن واقع معاش في العراق حالياً؟
- وستتضمن المناقشة إجابات واضحة عن الأسئلة التي طرحها السيد العقابي وفق ما لدي من معلومات.

الحلقة الأولى

هل تخلى الصديرون عن ميليشيات جيش المهدي؟ وهل حلت فعلاً هذه الميليشيات؟

كنت أتابع مقالات السيد ضياء العقابي خلال الفترة الأخيرة ودفاعه عن سياسات المالكي وإبراز "منجزاته" في كل مقالة يكتبها، وانتقاد من ينتقد سياسة المالكي بلغة هجومية على حسب المثل القديم يبدو وكأنه "ملكي أكثر من الملك نفسه"، ثم مطالبته قوى اليسار بتحقيق ثورة في فكرها وممارساتها وفق النهج الذي يتبعه في أعقاب مشاركة قوى اليسار في المظاهرات الشعبية احتجاجاً على الأوضاع السيئة التي تعيشها الغالبية العظمى من نساء ورجال العراق. وكان بودي أن أناقش ما جاء في مقالات السيد العقابي وغيره من الكتاب ممن استمروا واستمروا في الدفاع عن سياسات ومواقف نوري المالكي وحكومته وعجزوا عن رؤية المخاطر التي تحيط بالعراق وأوضاع الشعب. ولكني كنت أقول باستمرار لكل منا وجهة نظره ولكن يبقى الود والصداقة الاجتماعية بيننا، كما هي علاقة الاحترام المتبادل بين الأخ الدكتور عبد الخالق حسين وبينني رغم اختلافنا في بعض وجهات النظر بما فيها الموقف من سياسات المالكي.

لقد كنت مهموماً حقاً حين نشرت المعلومة التي وصلتني وتيقنت منها بالحدود الممكنة وثقتي بالمصدر من جهة، ومعرفتي بسياسات وسلوك زعيم وقوى التيار القيادية والذي يقلدونه، وليس الكادحين البسطاء الملتفين حولهم، من جهة أخرى، أنصب تفكيري على طرح الاستفسار لكي أجب الانتباه للمعلومة والتحري عن مدى صحتها ومن أجل أن نتمعن بما حصل في العراق خلال الأعوام الثمانية الأخيرة على أيدي الميليشيات الطائفية المسلحة ومنها جيش المهدي وعصائب الحق وفيلق بدر وهيئة علماء المسلمين، إضافة إلى قوى القاعدة والبعث الصدامية المجرمة، مع حقيقة وجود كثرة من أعضاء ومؤيدي حزب البعث من "التوابين" من أتباع المذهب الشيعي أو غير التوابين من أتباع المذهب السني في صفوف الميليشيات الطائفية الشيعية والسنية المسلحة. وفي الوقت الذي كان الشعب يتطلع إلى بناء عراق جديد على أنقاض الفاشية الدموية، بدأت قوات التحرير من نظام وشخص الدكتاتور صدام حسين وقوات الاحتلال في أن واحد، في بناء نظام المحاصصة الطائفي السياسي، كما بدأ في الوقت نفسه نشاط كبير للميليشيات الطائفية المسلحة سنية كانت أم شيعية. ورغم تراجع نشاط هذه الميليشيات، فإنها كبنيات تنظيمية ما تزال قائمة ومستعدة في كل لحظة للحضور في شوارع وأزقة ومدن العراق، وهو ما أسعى ويسعى غيري للتصدي له ورفضه.

من متابعتي المستمرة لقوى التيار الصدري وميليشيات جيش المهدي وتحرياتي الشخصية وعشرات المقالات التي كتبتها حول هذا التيار خلال السنوات المنصرمة يمكنني الإشارة إلى بعض الملاحظات التي أرجو أن تقرأ بهدوء ويجري التفكير بها لأنها ليست من عندياتي، بل هي من خطب وتصريحات قيادات التيار وزعيمه وولي الفقه فيه:

1. إن زعامة هذا التيار الدينية تتسم بالتطرف الديني والتشدد المذهبي والتعصب والتمييز الطائفي السياسي، وهي تقترب في بعض أوجهها الدينية المتمزعة من المدرسة النزعات الوهابية المنطلقة من أرضية المذهب الحنبلي. وقد برهنت على هذا الموقف خطب وتصريحات وأقوال كل من كاظم الحسيني الحائري ومقتدى الصدر. وإذا يمكن إيراد الكثير من المقطعات، أكتفي بما يلي:

"آية الله كاظم الحسيني الحائري: يا أبناءنا الكرام لا تتقوا مكتوفي الأيدي أمام هذا الهجوم الشرس، واعلموا إن المجرمين من ألام صدام والنواصب (أي أتباع المذهب السني عملياً وكل من يناصب أهل البيت العداء، ك. حبيب) بلاء مبرم لا بد من إزاحتهم عن الطريق، وكلما طالت أعمارهم ازداد فسادهم، ولا تخافوهم، واعلموا إن كيدهم إلى بوار." (موسوعة الرشيد أخذ المقتطف في 2011/3/15). بيان لمقتدى الصدر في 2006/12/4: "أنا على يقين من أن قوى الظلام المتمثلة بالاحتلال وتابعيها من النواصب والبعثيين لا ينفع به وثيقة ولا عهد ولا مدينة منورة ولا سامراء المقدسة فلا عهد لهم عند الله، ويريدون التحكم بنا ولكن هيهات أن نخضع لهم." (المصدر السابق نفسه).

2. إن زعامة هذا التيار تلتزم بممارسة سياسة دينية متطرفة في تحريمها للكثير من الأمور وفي الموقف من المرأة وممارسة العنف واستخدام السلاح لمواجهة مناهضي فكرها أو توجهاتها الدينية، وهي تسعى لتسلم السلطة لبناء دولة دينية طائفية استبدادية. وفي ضوء ذلك شكل منذ البدء الجناح العسكري والذي أطلق عليه جيش المهدي، وهي ميليشيات طائفية سياسية مسلحة. وقد تشكلت ميليشيات جيش المهدي باعتبارها الجناح العسكري للتيار الصدري في حزيران/تموز من العام 2003. ونواة هذه الميليشيات المسلحة هي التي قتلت بعد سقوط النظام الدكتاتوري في التاسع من نيسان 2003 عبد المجيد الخوئي في

صحن الأمام علي بن أبي طالب في النجف. لقد مارست ميليشيات جيش المهدي إرهاباً حقيقياً في العراق في بغداد والوسط والجنوب وفي كركوك، وخاصة الحويجة بين 2003-2008. كما اتهمت هذه الميليشيات بتنفيذ عمليات قتل على الهوية مع القاعدة وهيئة علماء المسلمين وقوى البعث الصدامية، ومعها ميليشيات أخرى. وشاركت في التعذيب الوحشي للمعتقلين ونظمت محاكمات خارج القانون في النجف وفي مناطق أخرى واختطفت الكثير من البشر وهربتهم إلى إيران ليقتلوا هناك، كما اعتصمت هذه الميليشيات في صحن الأمام علي بن أبي طالب وتسببت وساهمت بارتكاب جرائم بشعة، إضافة إلى الخراب الذي أصاب الصحن والقيب أو المنارات.

3. إن ميليشيات جيش المهدي ما تزال قائمة ويؤكد وجودها مقتدى الصدر ذاته إذ يعتبرها جيش عقائدي يمثل قوى المهدي المنتظر، وبالتالي فهو وكيل المنتظر الذي يقود عنه هذا "الجيش"، وبالتالي فليس من حقه تجميده أو حله. يقول مقتدى الصدر بهذا الصدد ما يلي:

"النسبة الكبرى منه (المقصود هنا جيش المهدي، ك. حبيب) تحت السيطرة، لو صح التعبير، ومطيعون ومخلصون ومؤمنون وواعون إن شاء الله وقادرون حتى على تحرير العراق مع بعض المقومات الأخرى إن شاء الله شيئاً فشيئاً. وأنا لست.. أصلاً في موارد سابقة قلت أنا مو من حقي أن أجمد جيش المهدي لأن عنوان جيش المهدي عنوان عقائدي، الإمام المهدي يعني، وكل مسلم يجب أن يكون طائعاً للإمام المهدي، المصلح خليفنا نسمة، إذا الإمام المهدي تعبير شيعي، المصلح، لكل دين من الأديان هناك يسمى شيء يظهر في آخر الزمان مصلح. إحنا هذا الجيش هو جيش هذا المصلح إن شاء الله، سيكون في نهاية الزمان إن شاء الله ظهور له وسنكون إن شاء الله إذا إحنا موجودين وقادرين نفسياً وإيمانياً وجسدياً وعسكرياً على أن نكون من جنده فجميعنا من جنده إن شاء الله، فهو عنوان عقائدي لا يمكن حله.

غسان بن جدو: إلى ذلك الحين فهذا الجيش جيش المهدي هو قائم تحت قيادتكم، أليس كذلك؟

مقتدى الصدر: إن شاء الله." (من لقاء صحفي بين غسان جدو ومقتدى الصدر، راجع الملحق في نهاية المقال).

4. كانت الميليشيات الصدرية وما تزال تمارس مهمتين هما:

المهام العسكرية خارج نطاق القانون، ومهما سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وأن يختزلها مقتدى الصدر إلى مهام عسكرية وثقافية.

وهذا التوزيع ليس من عندياتي أيضاً، فهو مأخوذ من تصريحات مقتدى الصدر في العام 2010. ويمكن القارئ والإطلاع عليه في الملحق أيضاً. علماً بأن المرجعيات الدينية الشيعية، ومنها مرجعية السيد السيستاني تؤكد بأن القوات المسلحة هي بيد الدولة وتخضع لقوانين الدولة. قال الشيخ جلال الصغير، وهو المعروف بتزمته الديني والطائفي، ما يلي بهذا الصدد: "في تصريح صحفي أمس الثلاثاء إن رأي المرجعية كان يؤكد منذ البداية على ضرورة أن تكون السلطة والقانون بيد الدولة ولا سلاح خارج إطار القانون.

وتساءل الصغير إن المرجعية الدينية لم تُسأل عندما تم تشكيل جيش المهدي حتى يتم التوجه إليها لأخذ رأيها في حالة حله مؤكداً بأن من أسس جيش المهدي عليه أن يحله. ولفت إلى إن رأي المرجعية في أزمة النجف واضح بأنها طلبت من جيش المهدي تسليم الأسلحة إلى الحكومة مشيراً إلى إن الهدف من هذا الأمر هو لإطالة الوقت والتحجج بحجج معينة" (راجع: موقع المعهد العربي الإلكتروني. أخذ المقطع في 2011/3/16).

جاء جواب مقتدى الصدر عن سؤال غسان الجدو حول مشاركة تياره في الانتخابات وهل هذا يعني تخليه عن بقية الخيارات كما يلي:

"مقتدى الصدر: كنا ولا زلنا، أنت سؤالك لطيف وهناك أيضاً شغفنا التفاتة لطيفة أنه أنا أول مرة أدعو لانتخابات بلساني إن صح التعبير، سابقاً لم أدع لها، إلا أن هذا لا يعني أن الخيار الوحيد هو السياسة وليس الخيار الوحيد لتحرير العراق هو السياسة لكن لا أريد أن أتوقع في مجال واحد وهو المقاومة العسكرية، أنا سميتها المقاومة السياسية، هناك مقاومة عسكرية تمشي بحالها مقاومة سياسية تمشي بحالها ومقاومة شعبية أيضاً كما في 9 نيسان مظاهرات مليونية قد تكون أو كانت مليونية الله العالم وأنها كل سنة تطلع هذه أيضاً أسميها من هذه الناحية المقاومة الشعبية ومقاومة عسكرية ومقاومة سياسية هي دخولنا

وانخرطنا في العملية الانتخابية عسى أن نحصل على إيصال -ليش نحصل على كراسي؟ الكراسي لفظ مو لطيف- نوصل بعض المؤمنين إلى كراسي البرلمان لكي يكونوا بابا لخدمة العراق واستقلاله وتحريره وإلى آخره واستتباب أمنه.

غسان بن جدو: يعني هل أفهم من ذلك بأنكم معنيون بخيارين يعني خيار العملية السياسية ما تسميه بالمقاومة السياسية وخيار العمل المسلح ما تسميه بالمقاومة العسكرية؟

مقتدى الصدر: كله مفتوح، ما دام نحن نقول..

غسان بن جدو (مقاطعا): هذان الخياران هما جزءان في صلب الآن..

مقتدى الصدر: (مقاطعا): مع الخيار الشعبي، لا مقاومة ولا سياسة من دون الخيار الشعبي، أنا أعتد على شيئين، الله والشعب، إذا شعب ماكو وإذا قاعدة شعبية ماكو لا تنجح المقاومة ولا تنجح العملية السياسية، اثنتينهم تسطر بأنامل شعبية لا أكثر ولا أقل." (راجع الملحق في نهاية هذا المقال).

5 . لا يمكن أن يغفر مقتدى الصدر لنوري المالكي على ما قامت به القوات المسلحة العراقية في العام 2008 إزاء ميليشيات جيش المهدي التي عاثت في العراق قتلاً وتخريباً وفوضى لا مثيل لها. وهو ما يزال يحمل رغبة عارمة في الانتقام منه وممن شارك في تلك العمليات من عسكريين ومدنيين. ولكن مشاركته في الحكومة الحالية جاء بفعل عوامل عدة أشير إلى بعضها في ما يلي:

أ . الضغط الذي مورس على زعيم التيار الصدري من المرجعية الدينية في قم ومن آية الله العظمى كاظم الحائري.

ب . وضغط مماثل من أتباع التيار الصدري المشاركين في العملية السياسية والذين فازوا في الانتخابات الأخيرة بسبب المكاسب التي حظوا بها خلال الفترة المنصرمة.

ج . رغبة مقتدى الصدر والتيار الصدري في عدم الانعزال عن الوسط السياسي العراقي وعن عدد من الوزارات التي يمكنه الاستفادة منها لتعزيز وجوده وتأثيره على المجتمع وتأمين روافد مهمة لمعلومات ميليشيات جيش المهدي عند الحاجة.

د . تعزيز إمكانياته في الترويج لأفكاره المتخلفة والمتزمتة في المجتمع العراقي، كما في موضوع المرأة أو الحلاقة النسائية أو الغناء والموسيقى والرقص والرسم والنحت أو في موضوع الحجاب والبركات وما إلى ذلك.

هـ . التصدي من داخل الحكومة ومجلس النواب لأي قرار يمكن أن يتخذ بتطوير الحريات الديمقراطية وحقوق المرأة والذي يمكن أن يتعارض مع توجهاته الدينية والطائفية.

حين وصل نوري المالكي إلى السلطة وجد نفسه معرضاً للسقوط ما لم يتخذ إجراءات حازمة وبالاتفاق مع القوا الأمريكية وتشكيل الصحوات في محافظات الأنبار وصلاح الدين على نحو خاص. وكان موقفاً حكيماً منه ساهم في تقليص العمليات الإرهابية الإجرامية. وكن الموقف سليماً وحصد تأييداً عند تشكيله لقائمة دولة القانون. ولكنه لم يتواصل ولم ينجر مهمات أخرى لكي يستطيع ان يعزز ما تحقق بل تراجع العمل وعادت العمليات الإرهابية على العراق وأن كانت بمستويات أقل.

يقول مقتدى الصدر بشأن الموقف من حكومة المالكي والمالكي ما يلي:

مقتدى الصدر: أنا أتصور أن الحكومة كانت وباعتبارها أبوية للجميع كانت يجب عليها أن تحتوي الجميع، ليس بالحروب وليس بالقتال، أنا سبق أن قلت لرئيس الوزراء السابق، التيار الصدري..

غسان بن جدو: السابق من يعني؟

مقتدى الصدر: الدكتور إبراهيم الجعفري، قلت له إن التيار الصدري مجرد أن تحتويه ولو بالقليل تضمنه يكون تحت لوائك وفعلنا ضمنه.

غسان بن جدو: هذا سابقاً.

مقتدى الصدر: هذا سابقاً، المالكي لم يقتنع بذلك الشيء، المالكي تصور أن هناك من سيدعمه بعد أن يسقط التيار الصدري تصور أنه هو انتصر على التيار الصدري، التيار الصدري مجرد أن صارت حروب معه سواء باستهداف مباشر أو غير مباشر -لأنه هو ينفي أنه كانت هذه حرب ضد التيار الصدري- رأساً أنا قلت يجمد جيش المهدي لمدة كذا أو من دون مدة وانتهت الحرب لمجرد التجميد، ليس هو انتصر على

الإرهاب ولم ينتصر على جيش المهدي ولم ينتصر على القوى التي كانت معارضة للحكومة، أبداً، لا بالموصل ولا ديالى الإرهابيين ولا افرض بالجنوب اللي هو يسمى جيش المهدي، لم ينتصر على أي أحد منهم، هو يتوهم الانتصار لكن لا انتصار في البلد والدليل على تفجيرات الأمس كانت موجودة وقبل أربعة أيام وخمسة أيام ". (راجع الملحق في نهاية هذا المقال).

إن في فم مقتدى الصدر غصة وهو ينتظر الفرصة للانتقام من المالكي بل ومن إذلاله، والمالكي لم يدرك ذلك حتى الآن أو لا يريد ان يدرك ذلك وبالتالي يراهن على التنازل له بدلاً من ممارسة سياسات أخرى. ومرة أخرى أقول بأن ميليشيات جيش المهدي لا تزال موجودة في واقع الحال، وان كانت لا تحمل السلاح ليل نهار، بل تمتلكه، ولكنه مهياً في كل لحظة حين يطلب منها أن تحمله على كتفها وتنزل إلى الساحة لاستخدامه.

إن وجود تشكيلات ميليشيات جيش المهدي لا أدعيها أنا بل يعترف بوجودها مقتدى الصدر ذاته. وعلى تصريحاته وخطبه أعتمد في ما قلته وأشرت إليه في هذه الحلقة. وبعد كل هذا، هل تخطى الصدرىون عن ميليشيات جيش المهدي والعنف؟ على السيد العقابي أن يتيقن بأن الجناح العسكري للصدرين لم يتخل عن سلاحه، بل يمتلك ما يكفي عند الحاجة. وإليك الملحق الذي يتضمن بعض خطب ومقابلات مقتدى الصدر الصحفية. أكتفي بهذا القدر بشأن التيار الصدرى ومن يرغب بأكثر من ذلك يمكنه أن رجع إلى مقالاتي عن التيار الصدرى في موقع الحوار المتمدن الإلكتروني.

2011/3/15

انتهت الحلقة الأولى وتليها الحلقة الثانية بعنوان: هل نظام المحاصصة الطائفية والقائم على الطائفية السياسية هو الصيغة المناسبة للحكم في العراق، أم أن النظام الذي يعتمد مبدأ الديمقراطية والمواطنة الحرة والمتساوية هو المطلوب للعراق؟

الملحق

من خطب وتصريحات ومواقف مقتدى الصدر المسجلة
تأسست ميليشيات جيش المهدي في حزيران 2003 سأحاول تناول تطور الموقف:

فالمعطيات المتوفرة لدي هي ليست مقالات لي ولا لغيري بل هي تصريحات وخطب ولقاءات صحفية لمقتدى الصدر، وبالتالي لن أتدخل في أثبات أو نفي شيء لكي يطلع السيد العقابي وكافة القارئ والقراء على موقف مقتدى الصدر من ميليشيات جيش المهدي على امتداد الفترة المنصرمة وإلى يومنا هذا مقتطف من لقاء صحفي بين قناة الجزيرة (غسان جدو) ومقتدى الصدر في العام 2008/8/4

غسان بن جدو (متابعا): هل تؤيدها؟ هل تؤيد مقاومة مسلحة ضد القوات التي تسميها بأنها محتلة؟
مقتدى الصدر: ضد المحتل نعم، ضد غير المحتل لا.

غسان بن جدو: لأن العراق الآن تصفه بأنه محتل، ولأنك وصفت المحتل...
مقتدى الصدر (مقاطعا): يجب تحريره.

غسان بن جدو (متابعا): المحتل بأنه أميركي إذاً هل أنت مع أعمال مقاومة مسلحة من أجل تحرير العراق من القوات الأميركية المحتلة كما تصفها طبعاً؟

مقتدى الصدر: بشرط ألا تضر بالشعب العراقي.

غسان بن جدو: سأتي إلى هذه النقطة، أنا أتحدث عن موقف سياسي عام بهذه الطريقة، هل أنتم معها؟
مقتدى الصدر: نعم.

غسان بن جدو: بشكل صريح وواضح؟

مقتدى الصدر: نعم، بصريح..

غسان بن جدو (مقاطعا): بشرط ألا تضر بالشعب العراقي، ما الذي تعنيه؟
مقتدى الصدر: بعدها هذه ما بها تقيه.

غسان بن جدو: ما الذي تعنيه عدم الإضرار بالشعب العراقي، ما الذي تعنيه؟
مقتدى الصدر: مثلا ألا تكون الحروب في المدينة تكون خارج المدينة، كمثال أولي إجا في بالي، يعني لا تضطر بنفس الشعب العراقي. مثلا أن يكون الهدف المخصص هو المقصود لا أن يتضرر به الآخرون لو صح التعبير وهكذا من الأمور التي هم المقاومين أعرف بها مني.
غسان بن جدو: بالنسبة لتحويل يعني قضية جيش المهدي الآن، نريد أن نفهم أن جيش المهدي هناك الآن صورة..

مقتدى الصدر (مقاطعا): تحويل؟

غسان بن جدو (متابعا): لا عفوا سأتيك. صورة غامضة عن جيش المهدي، طبعا جيش المهدي أنشأتموه بعد.. منذ خمس سنوات، وأعداده يبدو أنها كبيرة، لست أدري يعني أرقامها بالتحديد ولكن يبدو أنها كبيرة، هناك حتى من يتحدث عن مليون شخص، ربما. حقيقة فهمنا نحن في الخارج بأنكم أعلنتم حل جيش المهدي، لستم معنيين بجيش المهدي لأن جيش المهدي أصبحتم غير قادرين على السيطرة عليه.
مقتدى الصدر: هو مسيطر عليه، والنسبة..

غسان بن جدو (مقاطعا): أوضح لنا هذه النقطة لو سمحت.

مقتدى الصدر (متابعا): النسبة الكبرى منه تحت السيطرة، لو صح التعبير، ومطيعون ومخلصون ومؤمنون وواعون إن شاء الله وقادرون حتى على تحرير العراق مع بعض المقومات الأخرى إن شاء الله شيئا فشيئا. وأنا لست.. أصلا في موارد سابقة قلت أنا مو من حقي أن أجمد جيش المهدي لأن عنوان جيش المهدي عنوان عقائدي، الإمام المهدي يعني، وكل مسلم يجب أن يكون طائعا للإمام المهدي، المصلح خلينا نسميه، إذا الإمام المهدي تعبير شيعي، المصلح، لكل دين من الأديان هناك يسمى شيء يظهر في آخر الزمان مصلح. إحنا هذا الجيش هو جيش هذا المصلح إن شاء الله، سيكون في نهاية الزمان إن شاء الله ظهور له وسنكون إن شاء الله إذا إحنا موجودين وقادرين نفسيا وإيمانيا وجسديا وعسكريا على أن نكون من جنده فجميعنا من جنده إن شاء الله، فهو عنوان عقائدي لا يمكن حله.
غسان بن جدو: إلى ذلك الحين فهذا الجيش جيش المهدي هو قائم تحت قيادتكم، أليس كذلك؟
مقتدى الصدر: إن شاء الله.

مستقبل جيش المهدي وأهدافه

غسان بن جدو: طيب هذا الجيش عندما تقولون سترتبونه، ترتبونه إلى ماذا؟ ما الذي يعني ترتيب جيش المهدي؟ هل أحسستم مثلا أن هناك انفلاتا داخل جيش المهدي أن هناك أطراف لا تستطيعون السيطرة عليها لأنه ممتد بشكل كبير فرما تقوم ممارسات لا علاقة لكم بها، ماذا؟
مقتدى الصدر: وإنما يحتاج إلى تطوير، كل شيء يحتاج إلى كمال، أنا رأيت أن جيش المهدي يحتاج إلى كمال من بعض الجهات الثقافية العسكرية الاجتماعية الدينية التقرب إلى الشعب العراقي فأنا كل هذه الخطوات سأقوم بها.

غسان بن جدو: وما هو هدفه الإستراتيجي جيش المهدي؟

مقتدى الصدر: تحرير العراق، حاليا يعني؟

غسان بن جدو: نعم.

مقتدى الصدر: حاليا تحرير العراق، والدفاع عن الشعب العراقي في حال الأزمات لو صح التعبير والعراق في أزمة وهو محتل فيجب تحرير العراق.

غسان بن جدو: آه بوضوح تقول يعني جيش المهدي هدفه..

مقتدى الصدر (مقاطعا): الدفاع عن العراق.

غسان بن جدو: وتحرير العراق.

مقتدى الصدر: هذا لا ينكر ولم أنكره ولا أنكره.

غسان بن جدو: ولا تزال مستمرا فيه.

مقتدى الصدر: ولا أزال، ولو لم أكن موجودا، لو قتلت أو مت أو اعتزلت أو انعزلت أو أي شيء من هذه

الأسباب أيا كانت يبقى هدف جيش المهدي هو تحرير العراق، ما لها علاقة.
(موقع قناة الجزيرة الفضائية).

مقتطفات من نص لقاء قناة الجزيرة الفضائية في العام 2010/4/10
"غسان بن جدو: على كل حال هي حثيات ما بعد الانتخابات ومسار سياسي متكامل وحتى أحيانا معقد ومركب وتدخل فيه كثير من التحالفات والتكتيكات، هذا جزء أساسي من محور لقائنا ولكن ربما كمدخل رئيسي سماحة السيد الآن أنتم أعلنتم لأول مرة وبشكل صريح ومباشر دعوتكم الناس للانتخاب والاقتراع، في السابق أنتم شاركتكم كثير صدري أولا ثم مع التيار الصدري سواء في الانتخابات البرلمانية أو مجالس المحافظات، هل يعني هذا بأن التيار الصدري والسيد مقتدى الصدر يعني يعلن انضمامه الكامل للعملية السياسية وابتعاده عن أي خيار آخر مخالف داخل العراق؟ لأنه الآن إجابتك الآن تحدثت أنه حتى من أهداف هذه الانتخابات ليس فقط خدمة الناس ولكن تتحدث حتى عن التحرير، هل معنى هذا أن العملية السياسية أصبحت هي الخيار الإستراتيجي للرئيسي للتيار الصدري ولكم؟ مقتدى الصدر: كنا ولا زلنا، أنت سؤالك لطيف وهناك أيضا شفنا التفاتة لطيفة أنه أنا أول مرة أدعو لانتخابات بلساني إن صح التعبير، سابقا لم أدع لها، إلا أن هذا لا يعني أن الخيار الوحيد هو السياسة وليس الخيار الوحيد لتحرير العراق هو السياسة لكن لا أريد أن أتوقع في مجال واحد وهو المقاومة العسكرية، أنا سميتها المقاومة السياسية، هناك مقاومة عسكرية تمشي بحالها مقاومة سياسية تمشي بحالها ومقاومة شعبية أيضا كما في 9 نيسان مظاهرات مليونية قد تكون أو كانت مليونية الله العالم وأنها كل سنة تطلع هذه أيضا أسميها من هذه الناحية المقاومة الشعبية ومقاومة عسكرية ومقاومة سياسية هي دخولنا وانخرطنا في العملية الانتخابية عسى أن نحصل على إيصال -ليش نحصل على كراسي؟ الكراسي لفظ مو لطيف- نوصل بعض المؤمنين إلى كراسي البرلمان لكي يكونوا بابا لخدمة العراق واستقلاله وتحريره وإلى آخره واستنتاب أمنه.

غسان بن جدو: يعني هل أفهم من ذلك بأنكم معنيون بخيارين يعني خيار العملية السياسية ما تسميه بالمقاومة السياسية وخيار العمل المسلح ما تسميه بالمقاومة العسكرية؟ مقتدى الصدر: كله مفتوح، ما دام نحن نقول..
غسان بن جدو (مقاطعا): هذان الخياران هما جزءان في صلب الآن..
مقتدى الصدر: (مقاطعا): مع الخيار الشعبي، لا مقاومة ولا سياسة من دون الخيار الشعبي، أنا أعتمد على شينين، الله والشعب، إذا شعب ماكو وإذا قاعدة شعبية ماكو لا تنجح المقاومة ولا تنجح العملية السياسية، اثنتينهم تسطر بأنامل شعبية لا أكثر ولا أقل.
غسان بن جدو: نعم هذا دقيق لكن أنا أتحدث الآن عن خيار إستراتيجي..
مقتدى الصدر: إيه، إيه..

غسان بن جدو: الخياران مع بعضهما؟ مقتدى الصدر: نعم، نعم مع بعضهما.
غسان بن جدو: تؤكد لي هذا الأمر.
مقتدى الصدر: أؤكد لك هذا الأمر وبقاء الاحتلال معناه عقلا بقاء المقاومة ومعناه شرعا بقاء المقاومة، لو احتل بلدي لقومت لو احتل بلدي لحررته، هذا ماشي هذه قاعدة عقلية ونقلية لا مجال لنقاشها.
غسان بن جدو: ومعناه شرعا وعقلا؟ مقتدى الصدر: وعقلا.

غسان بن جدو: وعمليا، معناه عمليا ماذا؟ مقتدى الصدر: وعمليا إن شاء الله نسعى إلى تحريره بكافة الطرق.
غسان بن جدو: طبعا هذا الكلام سماحة السيد بكل صراحة قد يكون أيضا جديدا في توقيته الآن..
مقتدى الصدر: لا ليس جديدا.

غسان بن جدو: أنا أعلم كثيرا بأنكم في السابق أعلنتم أكثر من مرة دعمكم للمقاومة المسلحة وفي الوقت نفسه لم تكونوا قد دعوتكم بشكل صريح للانخراط بالعملية السياسية والمشاركة فيها، الآن تشاركون في العملية السياسية وفي الوقت نفسه خصوصا ونحن في الذكرى السابعة لغزو العراق تدعون إلى المقاومة

المسلحة، لماذا أقول لكم هذا الكلام؟ لأن من انخرطوا في العملية السياسية في العراق ومعظم الأطراف بنسبة 99% تقول بشكل صريح إن العملية السياسية هي الخيار الإستراتيجي ولا بديل لها وأي أعمال أخرى تسميها أعمال عنف وربما حتى أعمالا إرهابية، الذين قاطعوا العملية السياسية ولا يزالون يقاطعون العملية السياسية وهذه الانتخابات يقولون بشكل صريح وواضح لا خيار إلا العمل العسكري، بمعنى آخر عندما تقولون الآن الجمع بين المسألتين هل يعني هذا بأنه سيكون لكم علاقات مع الجانبين مع الطرفين؟ وكأننا نشهد الآن أن هناك فجوة بينكم كتيار صوري ومن يستخدمون أساليب العمل المسلح المقاومة المسلحة.

مقتدى الصدر: أنا عملت جاهدا إلى أن أفصل ما بين المشروع المقاومة العسكرية ومشروع المقاومة السياسية حتى لا أحد يكون مضرا بالآخر، مرات العملية السياسية تضر بالمقاومة شيئا ما ومرات العملية المقاومة العسكرية تضر بالعمل السياسي، أنا حاولت أفصل بيناتها عدا التنسيق الذي لا بد منه بين أي كيانين، إلا أنه أنا أترك العملية السياسية؟ لم ولن، لا سابقا، أنا أقول لك يعني قصة إن صح التعبير على أنه أحد الأشخاص السياسيين في العراق ذهب إلى إحدى دول الجوار -وبحينا قبل أربع سنين في الانتخابات الماضية التي لم نزع أنفسنا بها علنا- الشخصية غير العراقية من إحدى دول الجوار قال له التيار الصوري ومقتدى بالنص هم حصل مقاومة عسكرية هم حصل سياسة هم حصل قاعدة شعبية، أنتم كل شيء ما حصلتم! إيه ليش؟ إذا كنت ولا زلت أنا أسعى إلى هذا الشيء، من الجهة الشعبية أنا جهة شعبية ولست جهة حزبية لو صح التعبير أو توقع معين أو جهة معينة، والجهة العسكرية أنا لا زلت أعمل بها أنا مو خائف لا من أميركا ولا من غيرها، المقاومة العسكرية تستمر لكن بشرطها وشروطها، أنا مثلا قلت إبعاد المدن عن المقاومة، عدم الإضرار بالمدن عدم الإضرار بالممتلكات الشعبية وهكذا. الآن علنيا صار فقط هذا يختلف أنه قبل دخولنا بالعملية السياسية لم يكن واضحا، الآن الدخول بالعملية السياسية واضح وأنا سأتعامل مع السياسيين تعاملات سياسيا وأتعامل مع غير السياسيين تعاملات غير سياسي. غسان بن جدو: شو يعني تعامل سياسي مع السياسيين ماذا يعني؟ يعني الدخول بالتكتيك و.. مقتدى الصدر: هو يطول كلامه بس اختصار أن الناس تتعامل معنا تعاملات سياسيا، أمثل لك مثلا، أنا قبل أكثر من سنتين وكانت محاضرة نسميها طائفية ورفضت هذه المحاضرة السياسية ولأسباب تدخل أميركا بالوضع الوزاري بالعراق، أجنبي وزير الزراعة يقول لي أميركا أي وزير الزراعة الأميركي أعطاني سكر ستمائة مليون حتى يعني أعمل بها مشاريع في العراق.. (راجع: موقع قناة الجزيرة الفضائية في 2010/4/10)

وتابع الحوار كما يلي:

مقتدى الصدر: ولا أزال، ولو لم أكن موجودا، لو قتلت أو مت أو اعتزلت أو انعزلت أو أي شيء من هذه الأسباب أيا كانت يبقى هدف جيش المهدي هو تحرير العراق، ما لها علاقة. غسان بن جدو: تسمح لي أن أقول إن هذا الكلام قد يثير غرابة العديدين، نحن الآن نتحدث معك.. مقتدى الصدر (مقاطعا): قد يثير غرابة الأميركي فقط، ما أتصور العديدين. غسان بن جدو (متابعا): أنا أتحدث معك الآن والقناعة العامة الموجودة في الخارج أنكم ستعزلون و.. وستبتعدون عن كل شيء..

مقتدى الصدر (مقاطعا): تكتيك. لا لا، تكتيك هذا، إن شاء الله لا يثنينا ولا يثني عزيمتنا عن تحرير العراق. يعني شيء عقائدي هذا لا تتصوره..

غسان بن جدو (مقاطعا): غير العقائدي، يعني نتحدث الآن عمليا، يعني تعرف ماذا تقول.. مقتدى الصدر (مقاطعا): يعني فوفا عن الأسباب الأخرى هو شيء عقائدي ومرتبخ في العقل وفي القلب لا نميل عنه أبدا ولا أحد يتصوره. أنا هنا أنادي الشعوب والحكومات والمحتل نفسه أنه لا تتصور قد يوم من الأيام أن أتنازل عن تحرير العراق. صحيح أنه قد يكون هناك نواقص في المقاومة تحتاج إليها، الآن قلت لك أكو صار تطور في المقاومة إن شاء الله ينسد هذا النقص

غسان بن جدو: طيب عفوا سماحة السيد هل تترك بأن هذا الكلام كلام خطير وهذا يعني بأن أكثر من طرف ربما سيلاحقكم ربما سيحاول اغتيالكم؟

مقتدى الصدر (مقاطعا): شخصا؟

غسان بن جدو: نعم.

مقتدى الصدر: أنا خوفي على الشعب العراقي، عامة الشعب العراقي، أنا دائماً في حالة ترقب لو صح التعبير، هذا ليس بجديد.

غسان بن جدو: يعني هل تدرك بأن هذا الأمر الآن يضعكم في مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الأميركية والإدارة الأميركية والقوات الأميركية في العراق؟

مقتدى الصدر: أميركا تعرف أنني أقاومها ولكن بالطرق المشروعة التي لا تخرق قانوناً، وأطالب الأمم المتحدة بالاعتراف بمشروعية المقاومة التي لا يجوز أن ننكرها عقلاً وشرعاً

"مقتدى الصدر: لا، هو مو مواجهة. أميركا تعرف أكثر مني ومنك أنه أنا لا زلت أقاومها، لكن بالطرق المشروعة التي لا تضع لي، أو لا تضع لها خرق قانوني ضدي، أنا ما مخترق القانون لأن المقاومة معترف بها عقلاً وقانوناً. وأنا من هنا حتى أطالب الجامعة العربية وأطالب الدول الإسلامية المؤتمر الإسلامي، أطالب الأمم المتحدة بالاعتراف بمشروعية المقاومة والمقاومة لا يجوز أن ننكرها عقلاً ولا شرعاً أصلاً، مو الشرع الإسلامي أي شرع أنزل سماوي لو صح التعبير.

غسان بن جدو: هناك حديث أو إشارات بأنكم تتوون تحويل جيش المهدي إلى حركة سياسية، هذا الكلام..

مقتدى الصدر: قلت لك إنه هذا اللي حدث الالتباس، إن المقاومة مو فقط عسكرية، مرات عسكرية مرات شنو؟ ثقافية اجتماعية كذا، الآن أجد أن جيش المهدي، جيش الإمام المهدي سلام الله عليه يجب أن يلتفت إلى التكامل العلمي التكامل الثقافي لفترة معينة حتى يقوم نفسه ويستطيع ترتيب نفسه وهي تسمى المقاومة الثقافية. كما قلت لك إن هناك حرب صليبية ثقافية ضد الإسلام فيجب أن نحن كمدافعين عن الإسلام أن نحاربها بحرب ثقافية مواجهة لها.

غسان بن جدو: طيب ما ذكر عن ارتباك داخل التيار الصدري وحتى جيش المهدي وعن انشقاقات، يعني ما دقتها؟ يعني هناك من انشق عنكم..

مقتدى الصدر: نا أعتقد شقشة هدرت ثم قرت.

غسان بن جدو: بمعنى؟

مقتدى الصدر: يعني أنه فد شيء إلى أيام محددة وإن شاء الله كل يرجع إلى الآب أو الأصل إن شاء الله، كلهم يرجعون حبيبي. حدث وكتعبيرك انشقوا رجعوا إجوا اعتذروا وبابي مفتوح وقلبي مفتوح لهم وأنا محب للجميع، لكن أنا هذا اللي قلت لك أنا أريد أن أبعد العمة والحوزة عن السياسة، عن التحزب، فقط هذا. (راجع : المصدر السابق نفسه، 2010/4/10).

وإلى القارئ والقراء الآن بعض تصريحات مقتدى الصدر وكاظم الحائري حول النزعة الطائفية التي تسيرهما، علماً بأن مقتدى الصدر كان من مقلدي كاظم الحسيني الحائري:

بيان في 2006/12/4 (أنا على يقين من أن قوى الظلام المتمثلة بالاحتلال وتابعيها من النواصب والبعثيين لا ينفع به وثيقة ولا عهد ولا مدينة منورة ولا سامراء المقدسة فلا عهد لهم عند الله ، ويريدون التحكم بنا ولكن هيهات أن نخضع لهم).

* (فاننا يمكن أن نشارك في مطاردة الارهابيين والصداميين والنواصب التكفريين من بيت الى بيت).

* (تريد امريكا ان تسلم الامن والسياسة في العراق الى الارهابيين) .

كاظم الحسيني الحائري: يا ابنائنا الكرام لا تقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا الهجوم الشرس ، واعلموا ان المجرمين من ازالام صدام والنواصب بلاء مبرم لا بد من إزاحتهم عن الطريق ، وكلما طالت اعمارهم ازداد فسادهم ، ولا تخافوهم ، واعلموا ان كيدهم الى بوار.

الحلقة الثانية

ما هو النظام السياسي المناسب للعراق؟

النظم السياسية التي حكمت العراق منذ تأسيس الدولة العراقية إلى يومنا هذا أجهدت الشعب وأرهقته ونغصت عليه عيشه وأتت بطرق شتى وأساليب مختلفة على الكثير من بناته وأبنائه لأنها لم تكن ديمقراطية ولم تحترم يوماً حرية الإنسان وكرامته. كما إنها لم تسهم في بناء حياة سياسية حرة وديمقراطية ومجتمع مدني متقدم وصناعة حديثة وأرضية صالحة لبناء المجتمع المدني المنشود وعدالة اجتماعية. إذ بعد مرور 90 عاماً بالتمام والكمال من ولادة الدولة العراقية الحديثة ما تزال العشائرية وتقاليدها وقيمها هي السائدة عملياً في حياة المدينة والريف، وما زالت المؤسسة الدينية صاحبة الجولات في حياة الإنسان والمجتمع في البلاد. ولم تكن تلك النظم تعمل بمعزل عن تأثيرات السياسات الاستعمارية والدول المجاورة، سواء أكان ذلك في نهجها السياسي وفي بلورة سياساتها الداخلية والخارجية، أم في سياساتها الاقتصادية والاجتماعية، بحيث بقي اقتصاد العراق وبعد مرور 90 عاماً اقتصاداً ريعياً متخلفاً ومجتمعاً استهلاكياً مستورداً لنسبة عالية جداً من حاجاته الاستهلاكية ومفرطاً بموارده المالية المتأتية من تصدير ثروته النفطية الناضبة التي كان يفترض أن توجه لأغراض التنمية الإنتاجية وتطوير عملية التنمية الاقتصادية والبشرية. وبعد مرور هذه الفترة ما زال العراق يواجه حالة مريعة من الفقر الذي يلف نسبة تتراوح بين 60-70% من سكان العراق. فنسبة تتراوح بين 30-35 % تعيش تحت خط الفقر المحدد دولياً للدول النامية، وحوالي نسبة مماثلة تعيش على خط الفقر أو فوق خط الفقر بقليل. والشيء الجديد خلال الأعوام الأخيرة بروز عدد كبير من أصحاب الملايين والمليارات من الدولارات الأمريكية الذين لهم وزنهم في الدولة العراقية ويجلسون في الصفوف الأمامية، تناغماً مع القصيدة والأغنية التي تقول: "وصار في الصف الأمامي... احترامي للحرامي"، (قصيدة الأمير الشاعر عبد الرحمن بن مساعد وغناء آمال ماهر).

وإذا كان النظام الملكي قد بدأ بمحاولات لبناء المجتمع المدني، إلا إنه وبسبب الهيمنة الخارجية وربطه بين الدين والدولة في الدستور، ولكن ليس في الكثير من مواد ذلك الدستور الأكثر ديمقراطية ولا في الممارسة العملية، إلا إنه ابتداءً بفرض حكم سياسي طائفي دون أن يشارك أتباع المذهب السني من بنات وأبناء الشعب بتلك الممارسة الطائفية والشوفينية المقيتتين للحكومات العراقية المتعاقبة وأجهزة الدولة

الأساسية. وتتوفر لدي مئات الأمثلة على ممارسات التمييز الطائفي والقومي الشوفيني دون أن يكون للشعب بكل أديانه ومذاهبه يد في كل ذلك، في حين شاركت فيه الكثير من المؤسسات الدينية وبعض الأحزاب السياسية.

وبرزت فترة قصيرة في حياة الشعب العراقي في أعقاب ثورة تموز 1958 كانت بعيدة عن التمييز الديني والطائفي والقومي الشوفيني أو ضيق الأفق القومي، ولكن سرعان ما تبدل الحال والشعب ما زال في ظل الجمهورية الأولى ذاتها، ثم سرعان ما التهم القوميون والبعثيون الشوفينيون هذه الجمهورية الفتية ليفرضوا على الشعب نظاماً سياسياً فاشياً وطائفياً وشوفينياً سادياً خلال الفترة 1963-1968، ثم جاء البعثيون الشوفينيون مرة أخرى ومارسوا السياسات الفاشية في العراق ثانية وأبشع من ذي قبل وخاضوا الحروب وأذاقوا الشعب العراقي مر العذاب على مدى ثلاثة عقود ونصف العقد.

وحين سقط النظام الدكتاتوري الأسود تحت ضربات الحرب الخارجية، توقع الناس أنهم سيتنفسون الصعداء وسيتغير الحال وسيبدأ العمل لبناء العراق الجديد في ظل الحريات العامة وبناء النظام الديمقراطي الجديد تدريجاً. وكذلك البدء ببناء الاقتصاد الوطني والتصنيع وتحديث الزراعة وتشغيل العاطلين ومكافحة الفساد المالي والإداري وتحسين الخدمات... الخ. رغم أن الكثير من القوى التي تسلمت الحكم لم تكن تتسم بالديمقراطية، بل كانت قائمة بالأساس على أسس دينية وطائفية وبعضها يتحرك بين اللبرالية والقومية. ولم يتوقع الناس أن يحصل ذلك بسرعة ودفعة واحدة بعد هيمنة شرسة لأكثر من خمسة عقود من السياسات السيئة، بل كان المؤمل أن تكون البداية على الأقل موفقة.

لا شك في أن التشابك بين سياسات ممثل الإدارة الأمريكية والحاكم بأمره بريمر وقوى الإرهاب وقوى الإسلام السياسية وضعف الوعي العام كانت من العوامل الأساسية التي لعبت دورها في دفع الأمور باتجاه إقامة نظام سياسي يعتمد مبدأ المحاصصة الطائفية السياسية المتصارعة ويتكرر لمبدأ المواطنة العراقية المتساوية والحرّة في الواقع العملي اليومي. وهو ما نعيشه اليوم في العراق. وعلى من يريد أن يتبين ذلك أن يزور وزارات يقف على رأسها وزير من الأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية أو السنية أو من الكُرد وسيرى العجب العجائب.

لقد لعبت المرجعيات (المؤسسات) الدينية الشيعية والسنية وقوى الإسلام السياسية دورها البارز في سرعة طرح دستور مؤقت والاستفتاء عليه بحيث جاء بلباس طائفي، كما كانوا يريدونه، ومن ثم الدستور الدائم الذي تحسن قليلاً ولكنه حافظ على ديباجة طائفية على نحو خاص ومواد لا بد من تغييرها، ولم يتخلص

من المفاهيم الطائفية السياسية ومن ربط الدولة بالدين الإسلامي في حين أن الدولة شخصية اعتبارية لا دين لمثل هذه الشخصية.

إن العراق، بتعددته القومي والديني والمذهبي وبتنوع اتجاهاته الفكرية والسياسية، يتطلب دون أدنى شك إقامة دولة ديمقراطية مستقلة ومجتمع مدني ديمقراطي حر، دولة تعتمد دستوراً ديمقراطياً وتمارس الفصل بين الدين والدولة، وبين السلطات الثلاث واستقلال القضاء وحرية الإعلام والأحزاب... الخ، دستوراً ونظماً يعتمدان الهوية العراقية، هوية المواطنة وليس الهويات الفرعية الطائفية السياسية التي تمزق المجتمع وتصادر الهدوء والاستقرار والمساواة بين المواطنين من النساء والرجال، كما هو عليه عراق اليوم.

علينا أن نميز بين المذهب وبين الطائفة بمضمونها السياسي التي تقوم على أساس التمييز بين المذاهب. ويقدر ما يعبر تنوع المذاهب عن حراك فكري نافع في المجتمع، فأن الطائفية السياسية تعبر عن ضيق الأفق والتمييز والصراع وتدمير النسيج الوطني للمجتمع، وهو ما يتوجب رفضه. وعلينا أن نتابع بدون تحيز وبكل حيادية طبيعة جميع الأحزاب الإسلامية السياسية في العراق وفي غير العراق من الدول النامية، التي لم تعرف حتى الآن النهضة والتطوير، سجد أنها بنيت على أسس طائفية سياسية تنطلق من هذا المذهب أو ذاك، وهي تمارس سياسات طائفية في المحصلة النهائية، رغم قول قادتها بأنهم يعملون لمصلحة المجتمع، ولكن في حقيقة الأمر يعملون لمصلحتهم الخاصة، ضد الطوائف الأخرى. فهي أحزاب طائفية سياسية بكل جدارة!

نوري المالكي رئيس حزب الدعوة الإسلامية حالياً، (وعلينا هنا أن نتذكر أن جميع الكتل والأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية الراهنة انحدرت من ضلع هذا الحزب)، لا يؤمن بالديمقراطية كفلسفة، ولكن يؤمن بها كأداة للوصول إلى السلطة ثم يلفظها حال استقراره في السلطة. وهذا هو بالضبط ما عبر عنه علي الأديب نائب رئيس الحزب حالياً. وإذا كانت لدينا ذاكرة نشطة ستستعيد بالضرورة ما قاله نوري المالكي في أحد اجتماعاته ببعض العشائر الشيعية المؤيدة له، حين أكد بقوله "أخذناها، بعد ما ننطيتها!!" من يعتنق الديمقراطية لا يمكن أن يقول مثل هذا الكلام قطعاً، وحين كنا نقول ذلك، لم نكن قد اعتنقنا الديمقراطية بمفهومها الصحيح حقاً ولا مبدأ التداول السلمي والديمقراطي والبرلماني للسلطة، بل كنا نريد الإمساك بها وتكون بالنسبة لنا نهاية التاريخ. وبعد أن تخطى غالبية اليسار عن ذلك، استمر فيه الإسلامي السياسي... ومنه حزب الدعوة وغيره.

إن المالكي لا يريد بناء دولة ديمقراطية ولا مجتمع مدني ديمقراطي في العراق، وإلا لكان قد اتخذ إجراءات غير التي اتخذها في الأشهر والأسابيع الأخيرة. نوري المالكي مؤمن بإقامة دولة إسلامية تسير على أساس المذهب الشيعي على وفق ما يفهمه هو وجماعته، وكذا مقتدى الصدر، فهما بالأساس من أصل واحد.

الطائفية السياسية السائدة في الحكم في لبنان مزقت المجتمع ولا تزال تزيد تمزيقاً، ولهذا انطلقت في لبنان حركة شبابية وشعبية جديدة تطمح للخلاص من الطائفية السياسية وليس للتخلص من وجود أديان ومذاهب متعددة، إذ إن وجودها أمر طبيعي، ولكن استخدامها في الحكم هو الأمر غير الطبيعي.

تشكلت حتى الآن أربع حكومات عراقية، الأولى برئاسة أياد علاوي حيث تيقن الناس بأنه لم يتخلص من قاعدة فكره الأساسية وبالتالي استطاع نوعان من الجماعات التغلغل في أجهزة الدولة العراقية: جمهرة من البعثيين القدامى السيئيين في أجهزة الجيش والشرطة وفي الإدارة، بل حتى وجد شخص بعثي من أزالام عزت الدوري في مكتبه الخاص، وجماعة كبيرة من المفسدين والفاستدين، ومنهم وزير الدفاع الأسبق على سبيل المثال لا الحصر. كما إن أياد علاوي يتسم بالفردية الشديدة التي يستحيل على السياسيين الديمقراطيين العمل معه لفترة طويلة، إذ حين يكون في الحكم يكون مستبداً بأمره.

أما إبراهيم الجعفري فكان الرجل مثلاً للإسلامي الطائفي الصريح، فلم يكتف بتغيير اسم عائلته من الاشقر إلى الجعفري حتى قبل سقوط النظام، بل مارس سياسات معوجة في الحكم حين سمح للتيار الصدري وفيلق بدر في التغلغل إلى جميع أجهزة الشرطة والأمن ومواقع أخرى في الدولة واحتلوا مواقع مؤثرة في الدولة وما زالوا فيها. ولم يكن غريباً أن قال عنه مقتدى الصدر في لقائه مع الجزيرة ما يلي:

"مقتدى الصدر: الدكتور إبراهيم الجعفري، قلت له إن التيار الصدري مجرد أن تحتويه ولو بالقليل تضمنه يكون تحت لوائك وفعلاً ضمنه. (راجع الملحق في نهاية الحلقة الأولى).

من الخطأ الفادح خلط المفاهيم الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. فاللائحة تعترف للإنسان أن يتبنى أو يعتنق أي دين أو مذهب أو فكر، فليس في ذلك أي ضرر بل هو حق مشروع ومطلق، ومن هنا تم تأسيس "هيئة الدفاع عن أتباع الديانات والمذاهب الدينية، أي الدفاع عن حقهم في اختيار الدين أو المذهب والعبادة ورفض التمييز ضدهم أو اضطهادهم بأي شكل كان. وأنا أعمل عضواً في هذه الأمانة العامة لهذه الهيئة وأمينها العام. وهذا الحق في الاعتناق شيء واستخدام الدين أو المذهب في العمل السياسي وفي التمييز بين الأديان شيء آخر ومرفوض في الدول المتقدمة وينبغي أن يكون في كل دول العالم. لهذا فإن شرعة حقوق الإنسان بكل مكوناتها تقر مبدأ الفصل بين الدين والدولة، وتدعو إلى مبدأ المواطنة وليس مبدأ الهوية الدينية والطائفية، وتدعو إلى حيادية الدولة إزاء الأديان، ف "الدين لله والوطن للجميع" ..

العراق بحاجة إلى دولة مدنية ديمقراطية حديثة يتمتع أتباع جميع الأديان والمذاهب والاتجاهات الفكرية الديمقراطية، أي غير الفاشية وغير العنصرية وغير الطائفية السياسية، وأتباع جميع القوميات بالحرية التامة والكاملة، وليس بحاجة إلى دولة وحكومة تعتمدان مبدأ التوزيع الطائفي السياسي الذي نعيش تحت وطأته في الوقت الحاضر. إن الأعوام الثمانية المنصرمة برهنت على خطأ وخطورة الاستناد إلى نظام

وسياسة المحاصصة الطائفية في حكم العراق. وعلينا جميعاً أن نعمل على تغييره وفق الطرق السلمية والديمقراطية بما في ذلك حق التظاهر والمطالبة بالتغيير الديمقراطي.

2011/3/17